15em Année No. 727

Lundi — 9 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٦ — ٩ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

كتـــابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألتنى مجلة « الصور » فى إبان الحرب العالمية: ما هى الاتجاهات التى ستغلب على الحركة الفكرية فى العالم بعد الحرب الحاضرة؟ فكان رأيى أن الحركة الفكرية فى العالم كله ستتجه بعد نهاية الحرب إلى وجهتين متناقضتين فى الغاية متفقتين فى السبب، وهما النزعة الروحية الدينية، والنزعة الجنسية الحسية.

وهما كما قدمت متناقضتان فى الغاية ولكنهما متفقتان فى السبب، لأنهما ترجمان إلى القلق الذى يعتور النفوس البشرية فى إبان الزلازل العنيفة، ولم يزل من دأب النفوس البشرية أن تعالج قلقها بطمأنينة الروح وثقة العقيدة، أو بإغراق الحس فى المتعة الجسدية.

وندع العالم وحركاته الفكرية بعد الحرب لأنها مما يطول شرحه ولا يجزىء فى بيانه مقال واحد.

ولكننا نلتفت حولنا فى مصر فنرى مصداق ذلك فى الوجهتين المتناقضتين معاً لهذا السبب بعينه. فأما النزعة الحسية فيكفى أن ينظر القارىء إلى الصور العارية التى تنشر فى الصحف لغير مناسبة ليستدل منها على ما وراءها من النوازع النفسية، فإن شاء أن يتجاوز ذلك إلى قراءة الموضوعات التى تقترن بتلك الصور أو الروايات والأقاصيص التى تدور عليها علم أن المصدر واحد والتعبير بالحروف والكلمات يوافق التعبير بالخطوط والأشكال

وأما النزعة الروحية فهى واضحة فى انتشار الجماعات الدينية والعناية بالبحوث التى تنصرف إلى حقائق الأديان والعقائد. وأمامنا منها الآن كتابان قيمان هما اللذان نخصهما بهذا المقال، وهما كتاب «فصوص الحكم» لابن عربى، وكتاب « الوجود » للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى. وكلاهما بحث عميق فى حقيقة العقيدة وسر الوجود على الإجمال.

١ — فصوص الحكم:

وقد قام على تصحيح كتاب الفصوص ومراجعته والتقديم له الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية.

والدكتور أبو العلا عفيفى عالم ثبت متمكن من موضوعه. يعجب غاية الإعجاب بابن عربى صاحب الكتاب، ولكن إعجابه به لا ينسيه أمانة العرض وإقرار الحق فى نصابه. فهو يذكر ما للمؤلف وما عليه، ويقدره بميزانه الصحيح فيقول « إنه فليسوف آثر أن يهمل منهج العقل الذى هو منهج التحليل والتركيب ويأخذ بمنهج التصوير العاطفى والرمز والإشارة والاعتماد على أساليب الخيال فى التعبير. ولهذا لا أرى من الصواب أن نصف مذهبه بأنه مذهب فلسفى بحت إذا اعتبرنا التفكير والترابط المنطق

أخص صفات الفلسفة ، ولا بأنه مذهب صوفى بحت إذا اعتبرنا الوجدان والكشف أخص ميزات التصوف . ولكنه مذهب فلسفى صوفى معاً ، جمع فيه بين وحدة التفكير وقوة الوجدان »

ولم ينس الأستاذ أن يشير إلى كلام ناقديه بل مكفريه ، ولا أن يشير إلى كلام الدافعين عنه والمتأولين لأحاجيه وألغازه ، ولكنه كان أقرب إلى جانب الرضا منه إلى جانب السخط ، ولو لم يكن كذلك لقال فيه كما قال الذهبي إنه « انعزل وجاع وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة فى الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله . ولا وجود لذلك أبداً فى الخارج » .

وقد صدق الذهبي كما صدق الدكتور أبو العلا . ولكن الذهبي كان فى صدقه أقرب إلى جانب السخط منه إلى جانب الرضا . ولا بد من الموازنة بين الجانبين .

ونحن مع اعتقادنا أن ابن عربى لم يكن بالفيلسوف المحض ولم يكن بالمتصوف المحض ، ومع إعجابنا ببعض سبحاته الروحية وشعورنا بصدق ما وصف به من طيش الدماغ — نعود فنقول إن الفلاسفة المتجردين للفلسفة فى هذا الزمان لم يبلغوا فوق مبلغه من التفرقة بين إله العبادات وإله الحقيقة المجردة ، وليس رأى « برادلى » الذى يعرفه الدكتور عفيفي جيد المعرفة من جملة أقواله فى التفرقة بين الحقائق والظاهر إلا صورة جديدة من رأى ابن عربى فى هذا الكتاب بعينه وهو كتاب الفصوص .

ومهما يكن شأن ابن عربى بين الإعجاب والانتقاص فالحقيقة التى لا مراء فيها أن مذهبه مذهب يدرسه الباحثون ولكنه لا يصلح لجمهرة المتدينين . وحسبك أن رجلاً مثل ابن خلدون فى سماحة عقله وسعة نظره يقول بإحراق كتبه وكتب أمثاله ومحو أعيانها دفعاً للمفسدة . وأحسبه لو عاد إلى مصر فى هذه الأيام لما نجا من شدة المصريين فى المحافظة ، ولا حرم من عطف الفكاهة المصرية . فقد أوشك قديماً أن يقتل فى مصر لولم ينقذه الشيخ أبو الحسن الجانى الذى أبت عليه سليقة النكتة أن ينقذه من لذعاتها . فسأله : كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت ! فقال الرجل وهو لا يصدق بالنجاة : يا سيدى ! قلت شطحات فى محل السكر . ولا عتب على سكران ! »

وليس العصر عصر إحراق الكتب أو تفنيدها بلغة النار والماء ؛ ولكنه العصر الذى يحاسب الكاتب بحساب النقد والبرهان . ومتى حوسب ابن عربى بهذا الحساب ففيه ما يهمل إهمالا كالإحراق والإغراق ، وفيه مايفيد ويمتع العقول والقرائح .

وخير ما يفيد من هذا الكتاب تفسيره لوحدة الوجود ؛ لأنه أصلح من تفسيرات إخوانه فى هذه العقيدة ممن يقولون بتأليه الكون فى جميع مظاهره المادية . فليس الوجود عنده إلا الوجود الحق الذى تحجبه هذه المظاهر المادية ، وهو بهذا يقترب كل الاقتراب من عقيدة التوحيد .

٢ — الوجود :

والكتاب الثانى الذى سماه السيد أبو الفيض المنوفى « بالوجود » هو ألزم الكتب لمن يتوخى البحث المصرى فى وحدة الوجود وفى حقيقة الوجود على الإجمال .

وهو كتاب مدروس أو « مخدوم » كما يقال فى اصطلاح المؤلفين . لم يصدر باللغة العربية كتاب يحوى ما حواه فى هذا الموضوع ، ولم يكن معول المؤلف فيه على المراجع العربية وحدها بل لعل اعتماده على مراجع الفلسفة الأوربية بين قديمها وحديثها أظهر من اعتماده على مراجعنا المعهودة . لأنه قصد فيه إلى إقناع المحدثين الذين يلهجون بفلسفة العصر وأساليبه ويعرضون عن القديم لقدمه من غير بحث فيه ولا اطلاع عليه .

وأجمل ما فى الكتاب — وليس هو بالنسق النادر فيه — كلامه عن عالم العناصر الذى هو العالم البرزخى بين المادة والقوة ، فمن هذا العالم البرزخى نتحقق « أن الشىء المنظور يتحول إلى غير المنظور ويصبح هو والفكر والروح فى الخفاء سواسية ... ولا نظن أنه يوجد فرق بين النور والقوة إلا فى الألفاظ ؛ لأن الطاقة يستوى فيها أن تكون إشعاعاً أو حركة أو حرارة أو مغناطيس أو كهرباء أو غير ذلك ، ولا فرق أيضاً بين الحرارة والنور المنظور والنور غير المنظور إلا فى طول الموجات وقصرها » .

ومصدر الوجود كله على هذا النحو هو النور ، ثم النور الإلهى وهو نشاط محض . ولا فرق بين الوجود والعدم إلا فى خاصة